الإحساس بالفن الاجتماعى الذى يجعل من علاقاتنا مجالًا لتبادل المنافع والخبرات برحابة صدر وبحب، إننا نحتاج إليه ليجعل من أماكن عملنا وجلوسنا وبيوتنا وشوارعنا وكتبنا ومرافقنا العامة والخدمات تحفًا فنية تدفع إلى العمل والإبداع، وتحث على الإنجاز، وتقدم صورة بديعة للمسلم النظيف الفنان.

الإتيكيت والإسلام:

قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» هذا هو رسول الله الذى وصفه الله فى كتابه الكريم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾. فالحياة بلا دستور ومجموعة من القوانين والأنظمة تحترم وتطبق، حياة جاهلية فوضوية متخلفة، إن الإسلام منهج ينظم جميع شئون الحياة المدركة فى عالم الحس، فترى حكم الشرع يتطرق إلى جميع مجالات الحياة من الصناعة، والتجارة، والطب، والحياة الاجتماعية، ولم يقتصر على العبادات أو العقائد كما يظن البعض.

إن المسلمين هم الذين علموا الغرب، وأوربا كل أصول الإتيكيت، فكان هذا دور الإسلام فى نشأة الآداب المعيشية الراقية، وللمسلم أن يفخر بدينه وتشريعاته التى أخرجت البشرية من الظلمات إلى النور.

حيث إن الإسلام دين يهتم بشئون الإنسان الخاصة، كما يهتم بشئونه العامة، ويتتبع الإرشاد والتقويم تفاصيل حياته الصغيرة، كما

يوجهه فى كبيرها، ويتدخل فى دقائق أموره الشخصية تهذيبًا وتجميلًا، كما يهتم بأمور الإنسانية عمومًا وشمولًا.. سواء بسواء.. ويقينه فى ذلك أن المجتمع الفاضل أساسه الفرد الفاضل. والأمة الراقية أفرادها ـ لا شك ـ هم الذين أقاموها على الرقى والحضارة والازدهار.

لقد كان كلام رسول الله ﷺ سهلًا يفهمه كل من سمعه، فخير الكلام ما قل ودل، حيث إن طريقة الكلام تعبير عن الشخصية والثقافة، وقد مشى الصحابة ﷺ على هذا المنوال، فيروى أن أحد الأشخاص حلم ذات يوم بأن أسنانه كلها تساقطت فانزعج، وطلب مفسرًا للأحلام! فقال له: إن جميع أقربائك يموتون قبلك، فتشاءم الرجل، ثم أحضر مفسرًا آخر فقال نفس القول فزاد تشاؤمه، حتى جاء الثالث وكان ابن سيرين، فقال: (إنك ستكون أطول أقربائك عمرًا إن شاء الله تعالى)، فأحسن إليه بجائزة مع العلم أن مضمون الآراء الثلاثة واحد.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾[النساء: ٦٩-٧٠].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فأكمل المؤمنين إيمانًا بالنبى ﷺ، وأعظمهم اتباعًا له وأسعدهم

بالاجتماع معه: المتخلقون بأخلاقه المتمسكون بسنته وهديه، قال ﷺ: «أنا زعيم ببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه».

وقال ﷺ: «إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا».

وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال: «إن من خياركم أحسنكم خلقا».

قال عليه الصلاة والسلام: «ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن؛ وإن الله يبغض الفاحش البذىء». وفى رواية: «وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة».

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لأهله». وفى رواية: «لنسائهم» وروى عنه ﷺ قال: «أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا».

وروى عنه ﷺ أنه قال: «إن هذه الأخلاق من الله تعالى؛ فمن أراد الله به خيرًا منحه خلقًا حسنًا». وروى عنه ﷺ: «إن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد».

ولا بد أن يعرف كل مسلم أن الانبثاق الأول لفن وعلم الإتيكيت هو من الإسلام من خلق الرسول عليه الصلاة والسلام، فعودة لفنون الإتيكيت الإسلامية الأصل لنرقى بأنفسنا إلى أفضل سلوك بشرى على وجه الأرض ألا وهو سلوك نبى الله محمد ﷺ: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ «كان خلُقه القرآن».

إن نبينا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم... علمنا دروسًا هائلة فى الأخلاق والصفات... وطبقها عمليًّا... هذا هو الأهم...

لم يكن فظًّا ولا غليظًا ولا صخابًا فى الأسواق... ويلقى من يبدأ بالسلام.. ومن قابله لحاجة.. حتى ينصرف.. يشد على قبضة يد الذى يصافحه.. ما رؤى قط مادًّا رجليه بين أصحابه.. كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن جاءه حتى لو لم يكن يعرفه...

كان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التى تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل... كان يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه... وسمعه.. وحديثه.. وتوجهه... يدعو أصحابه بكناهم بل وحتى النساء.. ويكنى الصبيان.

كان أبعد الناس غضبًا.. وأسرعهم رضا.. وكان أرأف الناس بالناس... وأنفع الناس للناس.. وكان لا يشافه أحد بما يكره. هذه قطرة من بحر شمائله ﷺ ترى ماذا لو اتبعناها... هل سنحتاج إلى برمجة عصبيه لتحسين حياتنا.. ولتحقيق نجاحًا اجتماعيًّا.

الأصل فى الإتيكيت... أدب إسلامى رفيع:

يظن البعض أن فنون الإتيكيت؛ أو آدابه هى فنون أوربية خالصة، وإننا لم نتعلم تلك الفنون إلا بعد اختلاطنا بالأمم الأوربية، ويجهل البعض أن أوربا كانت تعيش فى ظلام دامس؛ وبدائية مطلقة نتيجة

تسلط رجال الدين والكهنة على العقول فى العصور الوسطى وإيهام المجتمع المسيحى بأن الإنسان لا بد أن يزهد كل ما فى الحياة حتى يحظى برضا الرب والسعادة فى الدار الآخرة؛ إلا أن المجتمع الأوربى حينما اختلط بالمسلمين عن طريق التجارة والحروب وجد الأمة الإسلامية أمة متقدمة فى شتى العلوم، ولها آداب سلوكية رفيعة فى كافة معاملاتها الحياتية، رغم تدينها الشديد وحرصها على رضا الله، ولا يمنعها دينها من الاستمتاع بطيبات ما أحل الله لها فى الدنيا، وما يحفظ عليها دينها، وتنال به رضا ربها؛ ونعيمه فى الدار الآخرة، ذلك أن الأسس التى تقدمت بها تلك الأمة الإسلامية فى العلوم والآداب كلها مستمدة من روح الشريعة الإسلامية.

واستقت أوربا من معين تلك العلوم، والآداب، والفنون الإسلامية المختلفة، وبدلت وغيرت فيها وفق ما تراءى لها، وتقدمت أوربا ثم غزت بلاد العرب والمسلمين، وأوهمت أهل تلك البلاد أنها ما تقدمت إلا بعد أن تخلت عن دينها، وأخذت بتلك الآداب الحديثة بزعمهم، فابتعد المسلمون عن دينهم أملًا فى اللحاق بركب التقدم الأوربى الموهوم.

وأخذ المسلمون يقلدون الأوربيين فى كل شىء فى المأكل، والمشرب، والملبس، والكلام والصحبة، والمجلس، دون وعى أو تمحيص فيما ينقلون ويأخذون، هل يوافق أصل دينهم وما هم عليه أم لا.

ولو أنهم بحثوا فى دينهم لوجدوا الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد ترك لهم تراثًا ضخمًا فى آداب التعامل مع الآخرين، ومع كافة متع الحياة حتى مع الحيوان الأعجم، وتلك هى اللبنة الأولى التى نحافظ بها على ديننا.

وفى ذلك يقول العلماء:

إن الإسلام كان مدينة لها خمسة من الحصون. الأول من ذهب، والثانى من فضة، والثالث من حديد، والرابع من آجر، والخامس من لبن، فما دام أهل المدينة يحافظون على الحصن الأخير الذى من لبن لا يطمع العدو فيهم أبدًا أما إذا ترك أهل الحصن تعاهدهم وحفاظهم لها خرب الحصن الذى من لبن فيطمع العدو فى الثانى، ثم الثالث، ثم الرابع، ثم الخامس حتى تخرج الحصون كلها وتقع المدينة، ويهلك أهلها، وأول تلك الحصون التى من ذهب هو اليقين بالله، والثانى هو الإخلاص، والثالث أداء الفرائض، والرابع أداء السنن، والخامس حفظ الآداب.

فما دام الإنسان يحفظ الآداب، ويتعاهدها فإن الشيطان لا يطمع فيه فإذا تركها طمع الشيطان فى السنن، فإذا تركها طمع فى الفرائض، فإذا تركها طمع فى الإخلاص فإذا تركه طمع فى اليقين، ولا يتركه حتى يكفر بالله.

وعلينا أن نجاهد ونعود ونتمسك بآداب الإسلام ومن أهمها الشرب، حيث قال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا الماء واحدة كشرب البعير واشربوا مثنى وثلاث وسموا الله إذا شربتم واحمدوه إذا فرغتم».

فالشرب يكون على مرتين أو ثلاث باليد اليمنى، ولا ينفخ فى الإناء، ولا يتنفس فيه، ويستحب الشرب قاعدًا كما يجوز الشرب قائمًا للضرورة، إلا أنه يكره أن يضع المرء فمه على فم السقاء (أى الزجاجة أو القربة، أو الصنبور أو الإبريق)، وفى ذلك إشارة قرآنية لطيفة إلى أن الشرب فى الكوب أو الكأس، ولا يكون من فم الإبريق ويقول الله تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الواقعة: ١٧ – ١٨].

كما لا ينبغى أن يعب الماء عبًّا بل يمصه مصًّا، فإذا شربت شرابًا وعندك آخرون فابدأ بالذى عن يمينك، وكبر أى أعط الأكبر سنًّا، فإذا كان الذى على يمينك صغير السن فاستأذنه فى البدء بالأكبر سنًّا، ولا ينبغى أن تبدأ بالشرب وفى المجلس من هو أولى منك بالتقديم لكبر سن، أو زيادة فضل، بل الواجب أن يكون الساقى هو آخر القوم شربًا ثم يحمد الله بعد الانتهاء من الشرب فإذا كان المشروب لبنًا قال: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه.

معظم قواعد الإتيكيت من الإسلام:

وفيما يلى بعض الأدلة على ذلك:

التحية: «إذا التقيتم فابدءوا السلام قبل الكلام، ومن بدأ بالكلام فلا تجيبوه» حديث شريف.

المصافحة: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا» حديث شريف.

قواعد السلام: «يسلم الراكب على الماشى، والماشى على القاعد، القليل على الكثير ويسلم الصغير على الكبير».

المحادثة: «الكلمة الطيبة صدقة» حديث شريف.

اللهجة: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ قرآن كريم.

الزيارة: «من عاد أو زار أخا له فى الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلًا» حديث.

الضيافة: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفة» حديث شريف.

البشاشة: «إن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق» حديث شريف.

الاستئذان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ قرآن كريم.

الهدية: «تهادوا تحابوا» حديث شريف.

تقديم الورود: «من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الريح».

التواضع: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ قرآن كريم.

احترام المواعيد: «آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان» حديث شريف.

التعامل مع المريض: «إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى أجله، فإن ذلك لا يرد شيئًا ويطيب نفسه» حديث.

الأناقة: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ قرآن كريم.

الموائد: «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك» حديث شريف.

كبار الشخصيات: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» حديث شريف.

عدم الغضب: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب» حديث شريف.

الابتسامة: «تبسمك فى وجه أخيك صدقة» حديث شريف.

الشكر: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل» حديث شريف.

ـ إذا فتح رجل باب السيارة لزوجته ربما نراها كبيرة، كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض ويضع يده ويطلب من زوجته أن تقف على رجله وتركب الناقة.

ـ وكان يطعم زوجته: «خير صدقة لقمة يضعها الرجل فى فم زوجته».

ـ يشرب من نفس مكان شفاة عائشة على الكوب عليه الصلاة والسلام.

ـ هل تستخدم آلة التنبيه فى السيارة لتنادى صديقك من منزله ـ هل فيه إتيكيت..

ـ هل القرآن تكلم عن ذلك؟ نعم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

ـ الاستئناس... تعرف أن الطرف الآخر سيأنس بوجودك. اتصالك به قبل زيارته سيجعله مستعدًا ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ ﴾.

أبونا إبراهيم عليه السلام طبق الإتيكيت:

جاءه ضيوف... نستفيد خمس قواعد:

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾.. طلع خفية بدون أن يحس الضيوف (لا تجعل الضيف يشعر بأنك غير جاهز)؟

﴿ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ (أقدم أفضل ما عندى للضيوف).

﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ (احضر الأكل عند الضيف واجعله قريبًا منه). فقربه إليهم (هو) ليس الخدم بل هو، وقال: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾.

حتى البروتوكول ليس جديد علينا:

ـ من محمد بن عبد الله إلى فلان (اكتبوا اسمه حسب ما يحب).

ـ أبو بكر الصديق ﷺ كان يقوم بدور ضابط المراسم.. دار الضيفان.

ـ يسأل وفد المقدمة.. هل الرئيس يحب كذا لا يحب كذا.. فيعطى التعليمات.

اتفاقيات الأمم المتحدة:

الشخص غير المرغوب فيه الدولة ترده لبلاده:

عندما أرسل مسيلمة الكذاب كتابا إلى رسول الله عن نبوته المزعومة قال عليه الصلاة والسلام للرجلين: (وما تقولان أنتما؟) فأجابا: نقول كما قال! فقال لهما: (أما والله لولا أن الرسل لا تُقتَلُ لضربت عنقيكما) وردهما سالمين.

المعاملة بالمثل: العين بالعين والسن بالسن.... ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴾.

عدم التدخل فى شئون الغير.. فى الإسلام موجود.. «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

الهدف من العبادات أخلاقك، الصوم يعدل سلوكك: «إذا أصبح أحدكم يومًا صائمًا فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إنى صائم إنى صائم».

فى الحج تقبيل الحجر الأسود عبادة ولكن إذا كنت ستزاحم الناس وتؤذيهم فيجزئك أن تشير إليه بيدك من بعيد.

وفيما يلى أيضًا بعض الآداب والذوقيات الإسلامية المتعلقة ببعض جوانب الحياة المختلفة والتى وردت فى بعض المراجع....

الرائحة الذكية:

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها: (كنت أطيب النبى ﷺ بأطيب ما يجد حتى أجد وبيص الطيب فى رأسه ولحيته). ولا بد من السعى لإزالة روائح الجسم فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: كان الناس يسكنون العالية فيحضرون الجمعة وبهم وسخ فإذا أصابهم الروح سطعت أرواحهم ويتأذى بها الناس، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (أو لا يغتسلون).

تقليم الأظافر:

طول الأظفار مدعاة لتجمع الوسخ تحتها، ومظنة الإيذاء ومخالفة للفطرة، كما بيّن رسول الله ﷺ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من الفطرة حلق العانة وتقليم الأظفار وقص الشارب».

اللحية:

قال رسول الله ﷺ: «أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى»، فمن جمال الرجولة وحسن الطلعة وهيبة المنظر إعفاء اللحية.

الشعر:

إن أكرم ما فى الإنسان رأسه فإذا كان شعره مرجلًا كان ذلك أدعى

للقبول والاستحسان، فالمسلم مدعو إلى أن يكرم شعره، عن عائشة رضى الله عنها قالت: (كنت أرجل شعر رسول الله ﷺ وأنا حائض).

الثياب الطاهرة:

إن حال الثوب دليل على صاحبه، فعن عوف بن مالك أنه قال: أتيت النبى ﷺ فى ثوب فقال: «ألك مال، قال: نعم، قال: ومن أى المال، قال: قد آتانى الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال: فإذا أتاك الله مالًا فليرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته». قال الميمونى: (ما رأيت أحدًا أنظف ثوبًا ولا أشد تعاهدًا لنفسه فى شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه ولا أنقى ثوبًا وأشد بياضًا من أحمد بن حنبل).

وقال محمد الغزالى: (وبعض حديثى التدين يحسبون فوضى الملابس واتساخها ضربا من العبادة وربما تعودوا ارتداء المرقعات وارتداء الثياب المهملة؛ ليظهروا زهدهم فى الدنيا وحبهم للآخرة وهذا من الجهل الفاضح بالدين والافتراء على تعاليمه).

- ومن الذوق ألا تخالط الناس بثياب المهنة لما يكون عليها فى الغالب من قذر ورائحة غير مستساغة كاللحام والحداد وعامل البلدية، يجب أن نشير إلى أهمية التأكد من نظافة الجوارب خاصة ومجتمعاتنا حارة.
- وخروج البعض بلباس النوم مؤشر على عدم التقدير للموقف العام، فكيف إذا كان الموقف صلاة الجمعة واستقبال الضيوف.

- يا حبذا الأبيض من الثياب وقد ثبت أنَّ الرسول ﷺ لبس الأبيض وغيره، والعرف هنا يلتفت إليه ما لم يخالف السنة، قال ابن حجر: قال الطبرى: (الذى أراد جواز لبس الثياب بالحمرة ولا لبس الثياب المصبغة بكل لون إلا أنى لا أحب لبس ما كان مشبعًا بالحمرة ولا لبس الأحمر مطلقًا فوق الثياب؛ لكونه ليس من لباس أهل المروءة فى زماننا فإن مراعاة زى الزمان من المروءة ما لم يكن إثمًا وفى مخالفة الزى ضرب من الشهرة).

الإزار (البنطلون):

بعض الشعوب لا زالت تلبس الإزار تحت الثوب وهنا نلفت الأنظار إلى أهمية رفع الإزار حتى لا يكون أطول من الثوب فيخدش مظهر لابسه.

ذوقيات الالتقاء:

البشاشة:

البشاشة من: بش يبش بش، وبشاشة، والبشاشة طلاقة الوجه والإقبال على الرجل، وقيل: هو أن يضحك له، وقيل: فرح الصديق بالصديق ولقاؤه لقاء جميلًا، وبشاشة اللقاء الفرح بالمرء والانبساط إليه والأنس به. وقد كان الرسول ﷺ أكثر الناس تبسمًا فى وجوه أصحابه. ولكن انتبه من دوام البشاشة فإن فاعل ذلك ينسب إلى الحمق إلا أن تكون خلقة جبل صاحبها عليها قال رسول الله ﷺ: «ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب».

عن عائشة رضى الله عنها قالت: (إن رجلًا استأذن على النبى ﷺ فلما رآه قال: بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة، فلما جلس تطلق النبى ﷺ فى وجهه وانبسط إليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حيث رأيت الرجل قلت كذا وكذا ثم تطلقت فى وجهه وانبسطت إليه) فقال رسول الله: «يا عائشة متى عهدتنى فاحشًا إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره».

السلام:

- من الذوق عند اللقاء إفشاء السلام؛ لقول رسول الله ﷺ: «إذا لقى أحكم أخاه فليسلم عليه». والمبادرة بالسلام لها أجرها عند الله؛ لقوله ﷺ: «إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام».
- ومن الذوق أن يسلم الصغير على الكبير والقليل على الكثر والراكب على الماشى والماشى على القاعد. لقوله ﷺ: «يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير وقال: ويسلم الصغير على الكبير».
- ومن الذوق أن يصافح المسلم أخاه لقول النبى ﷺ: «إن المؤمن إذا لقى المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه وتناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر».
- لقد كان رسول الله ﷺ: «إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه».

ذوقيات الحديث:

- من الذوق ألا يزكى الشخص نفسه أى أن يمدح نفسه ويكثر من ذكر إنجازاته ولقائه بعلية القوم وكثرة ارتباطاته وعظيم فضله وحبه لخدمة الناس. قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾.
- من الذوق أيضًا توزيع النظر وتعميمه على وجوه من تتحدث إليهم حتى لا يشعر فريق بالاهتمام الكامل وآخر بالإهمال المطلق، عن حبيب بن أبى ثابت قال: (كانوا يحبون إذا حدث الرجل ألا يقبل على الرجل الواحد ولكن ليعمهم).
- فى رفع الصوت رعونة وإيذاء إلا ما دعت إليه الحاجة، قال سبحانه: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾.
- ليحذر المتحدث الانبساط فى جشائه فصوته مزعج ورائحته غير مقبولة البتة قال الإمام أحمد: (إذا تجشأ الرجل ينبغى أن يرفع وجهه إلى فوقه لكى لا يخرج من فيه رائحة يؤذى بها الناس).
- مما لا يليق أن يحتكر المرء الحديث عن الآخرين، فإن الكلام إذا احتكر يرفض فى الغالب، قال المارودى: (واعلم أن للكلام شروطًا أربعة: متى أخل المتكلم بشرط منها فقد أوهن فضيلة باقيها، فالشرط الأول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه إما فى

اجتلاب نفع أو دفع ضر، والشرط الثانى: أن يأتى فى موضعه، والشرط الثالث: أن يقتصر منه على قدر حاجته، والشرط الرابع: أن يتخذ اللفظ الذى يتكلم به).

- حسن اختيار الموضوع منجاة، قال على بن أبى طالب ﷺ: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله). فللأطفال ما يناسبهم وللكبار ما يلائمهم وللنساء مقال يختلف فى بعضه عن مقال الرجال وللأعراب طرح غير طرح المدنيين وهكذا.
- اقبل تصحيح خطأ وقع فى حديثك إذا نبهك أحد إليه فإن رفضك دليل غرور وعجب، وتقبل النقاش بصدر رحب، ولا تطل المجادلة مع الشخص الآخر فإنها مدعاة للاستخفاف بك واستغضابك وتمكين الأحمق والظن بعلمك.
- انتبه.... لا تزبد وتطاير لعابك فى وجوه القوم، فرذاذ الفم وسخ مستقذر.
- اجعل صوتك منسجمًا مع حديثك، فارفعه واخفضه على ما يقتضيه الموقف وسرعه وبطئه على ذلك.
- احذر الكلمات المستهجنة والسوقية البذيئة، قال المارودى ينصح: (أن يتجافى هجر القول ومستقبح الكلام وليعدل إلى الكناية عما يستقبح صريحه ويستهجن فصيحه وليبلغ الغرض ولسانه نزه وأدبه مصون).

- لا يليق الاستشهاد بأمثال العامة قال المارودى: (صنف من الناس أمثال تشاكلهم، فلا تجد لساقط إلا مثلًا ساقطًا وتشبيهًا سقيمًا).
- قال ابن الجوزى: (إذا روى المحدث حديثًا قد عرفه السامع فلا ينبغى أن يداخله فيه).
- من الذوق أن يتأنى الإنسان فى حديثه لا أن يأكل الأحرف، عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «التأنى من الله والعجلة من الشيطان».
- الصمت فى مواقف كثيرة أجمل من الكلام قال الشاعر.

الصمت أجمل بالفتى من منطق فى غير حينه

- إن ما ينبئ عن شخصية الإنسان كلامه فالبعض ترى علامات البلادة فى كلامه، عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهما خيطان، قال: «إنك لعريض القفا إذا أبصرت الخيطين» ثم قال: «لا بل هو سواد الليل وبياض النهار».

إتيكيت المجاملة الشرعية:

إن المجاملة اللطيفة تضفى على الحياة جو المحبة والأنس واللطافة بشرط تجنب التملق والنفاق، وإليك هذه النماذج من أدب المجاملات:

- (مرحبًا) فقد بوب البخارى فقال: قالت عائشة رضى الله عنها قال النبى ﷺ لفاطمة: (مرحبًا بابنتى).
- من اللطافة أن تقول لمن بلغك سلامًا: (عليك وعلى..... السلام).
- من الذوق أن تودع من يفارقك، عن ابن عمر قال: كان النبى ﷺ إذا ودع الرجل أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذى يدع يد النبى ويقول: «أستودع الله دينك وأمانتك وآخر عملك»، ويرد الآخر قائلًا: (أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه).
- من المجاملة إذا عطس عاطس أن يقال له: (يرحمك الله) وأن يرد عليهم بقوله: (يهديكم الله ويصلح بالكم).
- إذا طعمت عند أخ لك قلت: (أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة) ويرد عليه صاحب المنزل بقوله: (ولك مثله).
- عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس». فإذا قدم أحدهم لك خدمة فاشكره.
- ومن المجاملة إضافة أدعية فى الكلام كقولك حفظك الله ـ وفقك الله..
- كان النبى ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال: «لا بأس طهور إن

شاء الله».

- قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب لما رآه قد لبس جديدًا «البس جديدًا وعش حميدًا ومت شهيدًا يرزقك الله قرة عين فى الدنيا والآخرة».

هناك آداب نبوية متعلقة بالمزاح وهى:

١- أن يكون هذا المزاح القولى أو الفعلى حقا لا كذب فيه ولا إثم قال الرسول: «ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ويل له».

٢- ألا يبنى على المزاح تخويف أحد من المسلمين أو ترويعه قال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا».

٣- أن يكون هذا المزاح الصادق من أجل الترفيه عن الصالحين.

العطاس والتثاؤب:

قال الرسول ﷺ: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله وليقل له أخوه: يرحمك الله فإذا قال يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم» رواه البخارى.

- فيجب علينا عدم استبدال هذه الألفاظ بغيرها مثل: آسف... عذرًا...
- يجب وضع اليد أو طرف الثوب على الفم فى أثناء العطاس.. لستر منظر الفم ومنع تطاير الرذاذ من فمه وأنفه.
- خفض الصوت المصاحب للعطاس حتى لا يؤذى أو يزعج

حوله ويجب فعل ذلك عند التثاؤب أيضًا.

السلام:

يجب أن يكون السلام قبل الكلام والمصافحة باليد، قال عليه السلام «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما».

ذوقيات المعايشة والمجالسة والمخالطة:

- من الذوق عند التثاؤب أن يكظم ما استطاع فإن لم يقدر غطى فمه حتى لا تنتشر رائحة الفم ولعلها سيئة ولا يصدر صوتًا؛ لأنه دليل الكسل، قال رسول الله ﷺ: «وأما التثاؤب هو من الشيطان فليرده ما استطاع فإذا قال هاء ضحك منه الشيطان».
- قال ﷺ: «أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها».
- من الأمور التى تخدش الذوق ما يفعله البعض من تنظيف الأسنان بمحارم الورق مثلا وأمام الناس ثم يشم المحارم والبعض يدخل إصبعه فى أذنه والبعض يحك إبطه.
- قال لقمان لابنه: (إياك إذا سئل غيرك أن تكون أنت المجيب، كأنك أصبت غنيمة أو ظفرت بعطية فإنك إن فعلت ذلك أزريت المسئول عنفت السائل وطللت السفهاء على سفاهة حلمك وسوء أدبك).

- البعض إذا جلس بجانب من يقرأ كتابًا أو صحيفة فإنه يسرق النظر إلى أوراق الآخرين وهذا التصرف مخالف للذوق الرفيع قال الخلال: (كراهية النظر فى كتاب الرجل إلا بإذنه).
- الحرص على نظافة اليدين عند تسلمك أو تسليمك أمر ما.
- من غير اللائق تبليل الإبهام باللسان لقلب الصفحة لما فى ذلك توسيخ للإبهام والصفحة عدا المنظر غير اللائق للمخرج لسانه.
- البعض وبتلقائية يقلم أظفاره بأسنانه على كبر سنه ويكثر من اللعب بعضو من أعضائه كأن يلعب بأصابع قدميه أو بشعر لحيته أو المسح على بطنه.
- من غير اللائق محادثة إنسان وهو فى دورة المياه.
- البعض يرفع إزاره إذا شعر بأنه سيسقط أمام الناس ولعل عورته تتكشف وهو لا يعلم.
- الجلسة المحترمة دليل على احترام الموقف وتقدير أهميته وحسن التعامل مع الناس.

ذوقيات المناسبات:

- مراعاة يوم الجمعة بالغسل والسواك والطيب، عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله قال: «غسل يوم الجمعة على كل محتلم وسواك ويمس من الطيب ما قدر عليه».
- مراعاة مناسبة عزيزة على النفوس وهى عيد الفطر والأضحى

وكان ابن عمر يلبس أحسن ثيابه فى العيدين.

- الوفود، لعلك تكون فى موقف تقابل فيه الوفود، عن عبد الله بن عمر أن الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ رأى حلة سيراء عند باب المسجد فقال: يا رسول الله، لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك فقال ﷺ: «إنما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة».
- انظر إلى من لا يهتم بثيابه ولا يتطيب ثم يأتى ويقابل الناس ويخالطهم فسوف يصبح مستهجنًا وغير مقبول.
- من غير اللائق أن يأكل الإنسان من وسط الطعام، عن ابن عمر ﷺ قال: كنت غلامًا فى حجر رسول الله وكانت يدى تطيش فى الصحفة فقال لى: «يا غلام، سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك».
- ليس من الذوق أن يعيب الإنسان طعامًا لا يستسيغه أو لا يتقبل رائحته، عن أبى هريرة ﷺ قال: «ما عاب رسول الله طعامًا قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه».
- قال ابن الجوزى عن آداب المائدة: «ألا يفعل ما يستقذر منه غيره، فلا ينفض يده فى القصعة ولا يقدم رأسه عند وضع اللقمة فى فيه، إذا خرج شىء من فمه ليرمى به صرف وجهه عن الطعام وأخذ بيساره ولا يغمس بقية اللقمة التى أكل منها فى المرقة».
- إذا دعيت فلا تكثر النظر إلى المكان الذى يخرج منه الطعام فإنه

غاية فى الشره.

- لا تكثر الأكل فإنه فعل يدل على الشره غير ما يتبعه من ثقل فاعله وخموله.
- قال الشيخ عبد القادر: (ومن الآداب ألا يكثر النظر إلى وجوه الآكلين؛ لأنه مما يحشمهم).
- ليس من الذوق أن يتكلم الشخص على الطعام بما يجلب الهم والحزن ولا بما يضحكهم خشية اختناقهم أو قذفهم للطعام.
- ليس من الذوق إصدار صوت عند الشراب أو المضغ أو محاولة إخراج ما لصق من الطعام.
- واللائق ألا يكبر الشخص اللقمة وألا يبلغ كل ما يأكل بل يمضغ مضغًا جيدًا.
- إذا دعيت إلى مائدة فلا تبكر قبل الموعد فلعل أهل البيت يستعدون ولا تتأخر فيتضايق المدعون؛ لأنك جوعتهم.
- راع عند جلوسك ألا تضيق أحدًا واجلس حيث أجلسك أصحاب الدعوة واحذر الجلوس مقابل باب النساء.
- قال الغزالى: (أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم، فإنهم يستحيون بل ينبغى أن يكون آخرهم أكلًا وكان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ حبا على ركبتيه ومد يده إلى الطعام وأكل وقال: بسم الله ساعدونى بارك الله فيكم وعليكم، وكان السلف يستحسنون

ذلك منه).

- من الذوق أن يكون الأكل من حافة الطعام قال رسـول الله ﷺ: «إذا وضع الطعام فخذوا حافته وذروا وسطه فإن البركة تنزل فى وسطه».
- لا تأكل وأنت متكئ، ففى حديث البخارى أن رسول الله ﷺ قال: «لا آكل وأنا متكئ».
- من الذوق عدم استعمال عيدان الأسنان (الخلة) بعد الأكل أمام الآخرين؛ لأن اخراج ما بين الأسنان ينشر رائحته.
- عدم المصافحة على قوم وهم يأكلون.
- إذا دعيت إلى الطعام وبدا لك عدم القدرة على الذهاب فمن المستحسن أن تخبر المضيف على عدم حضورك مبكرًا.
- من الذوق ألا يصرخ من سقط عليه طعام ساخن ولا يغضب ولا يهيج.
- إذا دعوت قومًا إلى الطعام فى مطعم فحاول جاهدًا ألا يعرف القوم قيمة الفاتورة.
- عدم الإلحاح على الضيف فى الأكل وبخاصة بصيغة أمر.

من أخلاق النبى ﷺ:

كان النبى ﷺ أحسن الناس خُلقًا وأكرمهم وأتقاهم، عن أنس ﷺ قال: «كان النبى ﷺ أحسن الناس خلقًا» ـ الحديث رواه الشيخان وأبو

داود والترمذى.

وعن صفية بنت حيى رضى الله عنها قالت: (ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ) ـ رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن.

قال تعالى مادحًا وواصفًا خُلق نبيه الكريم ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

قالت عائشة لما سئلت رضى الله عنها عن خلق النبى عليه الصلاة والسلام، قالت: (كان خلقه القرآن) صحيح مسلم.

فهذه الكلمة العظيمة من عائشة ﵂ ترشدنا إلى أن أخلاقه عليه الصلاة والسلام هى اتباع القرآن، وهى الاستقامة على ما فى القرآن من أوامر ونواهٍ، وهى التخلق بالأخلاق التى مدحها القرآن العظيم وأثنى على أهلها والبعد عن كل خلق ذمه القرآن.

عن عطاء رضى الله عنه قال: قلت لعبد الله بن عمرو أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا ـ رواه

البخارى.

ما المقصود بحُسن الخلق؟

عن النبى ﷺ قال: (البر حسن الخلق..) رواه مسلم.

وحسن الخلق أى: حسن الخلق مع الله، وحسن الخلق مع عباد الله، فأما حسن الخلق مع الله أن تتلقى أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم، وأن لا يكون فى نفسك خرج منها ولا تضيق بها ذرعًا، فإذا أمرك الله بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها فإنك تقابل هذا بصدر منشرح.

أما حسن الخلق مع الناس فقد سبق أنه: كف الأذى والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه وغيره.

وعلى الرغم من حُسن خلقه حيث كان يدعو الله بأن يحسِّنَ أخلاقه ويتعوذ من سوء الأخلاق عليه الصلاة والسلام.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان ﷺ يقول اللهم كما أحسنت خلقى فأحسن خلقى» ـ رواه أحمد.

عن أبى هريرة ﷺ قال: كان ﷺ يدعو فيقول: «اللهم إنى أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق» رواه أبو داود والنسائى.

أخلاق النبى ﷺ مع أهله:

كان ﷺ خير الناس وخيرهم لأهله وخيرهم لأمته، من طيب كلامه وحُسن معاشرة زوجاته بالإكرام والاحترام، حيث قال عليه الصلاة

والسلام: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى» سنن الترمذى.

وكان من كريم أخلاقه ﷺ فى تعامله مع أهله وزوجاته أنه كان يحسن إليهم ويرأف بهم ويتلطّف إليهم ويتودد إليهم، فكان يمازح أهله ويلاطفهم ويداعبهم، وكان من شأنه ﷺ أن يرقِّق اسم عائشة ـ رضى الله عنها ـ كأن يقول لها: (يا عائش)، ويقول لها: (يا حميراء) ويُكرمها بأن يناديها باسم أبيها بأن يقول لها: (يا ابنة الصديق) وما ذلك إلا تودّدًا وتقربًا وتلطفًا إليها واحترامًا وتقديرًا لأهلها.

كان يعين أهله ويساعدهم فى أمورهم ويكون فى حاجتهم، وكانت عائشة تغتسل معه ﷺ فى إناءٍ واحد، فيقول لها: (دعى لى)، وتقول له: دع لى. رواه مسلم.

وكان يُسَرِّبُ إلى عائشة بناتِ الأنصار يلعبن معها. وكان إذا هويت شيئًا لا محذورَ فيه تابعها عليه، وكانت إذا شربت من الإناء أخذه، فوضع فمه فى موضوع فمها وشرب، وكان إذا تعرقت عرقًا ـ وهو العظم الذى عليه لحم ـ أخذه فوضع فمه موضع فمها، وكان يتكئ فى حجْرها، ويقرأ القرآن ورأسه فى حجرها، وربما كانت حائضًا، وكان يأمرها وهى حائض فتتزين ثم يُباشرها، وكان يقبلها وهو صائم، وكان من لطفه وحسن خلقه مع أهله أنه يمكِّنها من اللعب.

(عن الأسود قال: سألت عائشة ما كان النبى ﷺ يصنع فى بيته؟ قالت: كان يكون فى مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج

إلى الصلاة) رواه مسلم والترمذى.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم ـ رواه أحمد.

قال ﷺ: «إن من أعظم الأمور أجرًا النفقة على الأهل» رواه مسلم.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: (خرجت مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: اقدموا فتقدموا، ثم قال لى: تعالى حتى أسابقك فسبقته، فسكت عنى حتى إذا حملت اللحم وبدنت (أى: زاد وزنها) خرجت معه فى بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا فتقدموا، ثم قال لى: تعالى أسابقك فسبقنى، فجعل يضحك وهو يقول هذا بتلك) رواه أحمد.

(وقد روى أنه ﷺ وضع ركبته لتضع عليها زوجه صفية رضى الله عنها رجلها حتى تركب على بعيرها) رواه البخارى.

ومن دلائل شدة احترامه وحبه لزوجته خديجة رضى الله عنها، إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها (صديقاتها)، وذلك بعد مماتها وقد أقرت عائشة رضى الله عنها بأنها كانت تغير من هذا المسلك منه ـ رواه البخارى.

عدل النبى ﷺ:

كان عدله ﷺ وإقامته شرع الله تعالى ولو على أقرب الأقربين.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

كان يعدل بين نسائه ﷺ ويتحمل ما قد يقع من بعضهن من غيرة كما كانت عائشة ـ رضى الله عنها ـ غيورة.

قال عليه الصلاة والسلام فى قصة المرأة المخزومية التى سرقت: «والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد، لقطعت يدها».

كلام النبى ﷺ:

كان إذا تكلم بكلام فصل مبين، يعده العاد ليس بسريع لا يُحفظ، ولا بكلام منقطع لا يُدركُه السامع، بل هديه فيه أكمل الهدى، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بقولها: (ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بيِّن فصل يتحفظه من جلس إليه) متفق عليه.

وكان عليه الصلاة والسلام لا يتكلم فيما لا يَعنيه، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وإذا كره الشىء: عُرفَ فى وجهه.

أخلاق النبى ﷺ مع الأطفال:

عن أنس ﷺ قال: كان ﷺ يمر بالصبيان فيسلم عليهم ـ رواه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى.

كان ﷺ يسمع بكاء الصبى فيسرع فى الصلاة مخافة أن تفتتن أمه.

وكان ﷺ يحمل ابنة ابنته وهو يصلى بالناس إذا قام حملها وإذا سجد وضعها، وجاء الحسن والحسين وهما ابنا بنته وهو يخطب فى الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبى ﷺ من المنبر فحملهما حتى ووضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله ورسوله ﴿ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما.

أخلاق النبى ﷺ مع الخدم:

ومع هذه الشجاعة العظيمة كان لطيفًا رحيمًا فلم يكن فاحشًا ولا متفحشا ولا ضخابًا فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح.

عن أنس ﷺ قال: (خدمت النبى ﷺ عشر سنين، والله ما قال أف قط، ولا قال لشىء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا) رواه الشيخان وأبو داود والترمذى.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ خادمًا له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله.

وفى رواية: (ما ضرب رسول الله شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد فى سبيل الله) ـ رواه مالك والشيخان وأبو داود.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم ﷺ لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم).

رحمة النبى ﷺ:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وعندما قيل له: ادع على المشركين قال ﷺ : «إنى لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة» ـ رواه مسلم.

قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم إنما أنا بشر، فأىُّ المسلمين سببته أو لعنته، فاجعلها له زكاة وأجرًا» رواه مسلم.

كان من دعاء النبى ﷺ: «اللهم من ولىّ من أمر أمتى شيئًا، فشقَّ عليهم، فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئًا، فرفق بهم، فارفق به».

قال ﷺ: «هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم»، رواه البخارى.

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال ﷺ فى فضل الرحمة : «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» رواه الترمذى وصححه الألبانى.

وقال ﷺ فى أهل الجنة الذين أخبر عنهم بقوله: (أهل الجنة ثلاثة وذكر منهم رجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم) رواه

مسلم.

عفو النبى ﷺ:

عن أنس ﷺ قال: (كان النبى ﷺ من أحسن الناس خلقًا، فأرسلنى يومًا لحاجة، فقلت له والله لا أذهب وفى نفسى أن أذهب لما أمرنى به ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون فى السوق، فإذا النبى ﷺ قد قبض بقفاى من ورائى، فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنس أذهبت حيث أمرتك؟ قلت نعم، أنا أذهب يا رسول الله ـ فذهبت) رواه مسلم وأبو داود.

وكان ﷺ يجيب دعوتهم؛ دعوة الحر والعبد والغنى والفقير ويعود المرضى فى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر.

وكان صلى الله عليه وسلم سيد المتواضعين، يتخلق ويتمثل بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

فكان أبعد الناس عن الكبر، كيف لا وهو الذى يقول ﷺ: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» رواه البخارى.

كيف لا، وهو الذى كان يقول ﷺ: «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» رواه أبو يعلى وحسنه الألبانى.

كيف لا، وهو الذى كان ﷺ يحذر من الكبر أيما تحذير فقال: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرةٍ من كبر» رواه مسلم.

ومن تواضعه ﷺ أنه كان يجيب الدعوة ولو إلى خبز الشعير ويقبل الهدية.

مجلسه ﷺ:

كان يجلس على الأرض، وعلى الحصير، والبساط.

عن أنس رضى الله عنه قال: (كان النبى ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده، ولا يصرف وجهه من وجهه حتى يكون الرجل هو يصرفه، ولم ير مقدمًا ركبتيه بين يدى جليس له) ـ رواه أبو داود والترمذى بلفظه.

عن أبى أمامة الباهلى قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئًا على عصا، فقمنا إليه، فقال: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا» رواه أبو داود وابن ماجه وإسناده حسن.

زهده ﷺ:

كان ﷺ أزهد الناس فى الدنيا وأرغبهم فى الآخرة، خيره الله تعالى بين أن يكون ملكا نبيًّا أو يكون عبدًا نبيًّا فاختار أن يكون عبدًا نبيًّا.

كان ينام على الفراش تارة، وعلى النِّطعِ تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السرير تارة بين رمالهِ، وتارة على كِساء

أسود.

قال أنس بن مالك ﷺ: دخلت على النبى ﷺ وهو على سرير مزمول بالشريط وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، ودخل عمر وناس من الصحابة فانحرف النبى ﷺ فرأى عمر أثر الشريط فى جنبه فبكى فقال النبى ﷺ: ما يبكيك يا عمر قال: وما لى لا أبكى وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وأنت على الحال الذى أرى، فقال: يا عمر، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال: بلى، قال: هو كذلك.

وكان من زهده ﷺ وقلة ما بيده أن النار لا توقد فى بيته فى الثلاثة أهلة فى شهرين.

(عن عروة رضى الله عنه قال: عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها كانت تقول: والله يا ابن أختى كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهله فى شهرين ما أوقد فى أبيات رسول الله ﷺ نار، قلت: يا خالة فما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان ـ التمر والماء) متفق عليه.

وعن ابن عباس ﷺ قال: (كان النبى ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم الشعير) رواه الترمذى وابن ماجه وحسنه الألبانى.

عبادته:

كان عليه الصلاة والسلام أعبد الناس، ومن كريم أخلاقه ﷺ أنه

كان عبدًا لله شكورًا.

فإن من تمام كريم الأخلاق هو التأدب مع الله رب العالمين وذلك بأن يعرف العبد حقّ ربه سبحانه وتعالى عليه فيسعى لتأدية ما أوجب الله عز وجل عليه من الفرائض ثم يتمم ذلك بما يسر الله تعالى له من النوافل، وكلما بلغ العبد درجة مرتفعةً عاليةً فى العلم والفضل والتقى كلما عرف حق الله تعالى عليه فسارع إلى تأديته والتقرب إليه عز وجل بالنوافل.

فقد قال رسول الله ﷺ عن رب العالمين فى الحديث القدسى الذى يرويه عن ربه: إن الله تعالى قال: (... ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه...) رواه البخارى.

فقد كان ﷺ يعرف حق ربه عز وجل عليه وهو الذى قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، على الرغم من ذلك كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه ـ صلوات ربى وسلامه عليه ـ ويسجد فيدعو ويسبح ويدعو ويثنى على الله تبارك وتعالى ويخشع لله عز وجل حتى يُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل.

فعن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: (أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء) رواه أبو داود وصححه

الألبانى.

وعن عائشة ـ رضى الله عنها: أن نبى الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: (أفلا أكون عبدًا شكورًا) رواه البخارى.

وكان من تمثله ﷺ للقرآن أنه يذكر الله تعالى كثيرًا، قال عز وجل: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[البقرة: ١٥٢].

ومن تخلقه ﷺ بأخلاق القرآن وآدابه تنفيذًا لأمر ربه عز وجل أنه كان يحب ذكر الله ويأمر به ويحث عليه، قال ﷺ: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلىَّ مما طلعت عليه الشمس». رواه مسلم.

وقال ﷺ: (مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره، مثل الحى والميت) رواه البخارى.

وقال ﷺ: (ما عمل ابن آدم عملًا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله) أخرجه الطبرانى بسندٍ حسن.

كان عليه الصلاة والسلام أكثر الناس دعاءً، وكان من أكثر دعاء النبى ﷺ أن يقول: (اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) متفق عليه.

دعوتـه:

كانت دعوته عليه الصلاة والسلام شملت جميع الخلق، كان رسول الله محمد ﷺ أكثر رسل الله دعوة وبلاغًا وجهادًا، لذا كان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً، منذ بزوغ فجر دعوته إلى أن لحق بربه جل وعلا.

فعن أبى أمامة ﷺ قال: إن فتى شابًّا أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لى بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه فقال له: (ادنه)، فدنا منه قريبًا، قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله، جعلنى الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله، جعلنى الله فداءك. قال: «ولا الناس جميعًا يحبونه لبناتهم» قال: لا والله يا رسول الله، جعلنى الله فداءك. قال: «ولا الناس جميعًا يحبونه لبناتهم» قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله جعلنى الله فداءك. قال: «ولا الناس جميعًا يحبونه لأخواتهم». قال: «أفتحبه لعمتك؟» قال: لا والله، جعلنى الله فداءك. قال: «ولا الناس جميعًا يحبونه لعماتهم»، قال: «أفتحبه لخالتك؟»، قال: لا والله جعلنى الله فداءك، قال: «ولا الناس جميعًا يحبونه لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه» فلم يكن

بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. رواه أحمد.

وقد انتهج النبى ﷺ ذلك فى دعوته ولطيف أسلوبه للناس كلهم، حتى شملت الكافرين، فكان من سبب ذلك أن أسلم ودخل فى دين الله تعالى أفواج من الناس بالمعاملة الحسنة والأسلوب الأمثل، كان يتمثل فى ذلك ﷺ قول الله عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[النحل: ١٢٥].

مزاح النبى ﷺ:

وكان هديه ﷺ أن يمازح العجوز، فقد سألته امرأة عجوز قالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة، فقال لها النبى ﷺ: «يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، فولت تبكى، فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة ٣٥ ـ ٣٧]» رواه الترمذى فى الشمائل وحسنه الألبانى.

وكان جُلُّ ضحكه التبسم، بل كلُّه التبسم، فكان نهاية ضحكه أن تبدوَ نواجذه.

تعاون النبى ﷺ:

قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ استطاع منكم أنْ يَنْفَعَ أخاه فَلْيَنْفَعْه».

(عن ابن أبى أوفى أن رسول الله ﷺ كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضى له حاجته) رواه النسائى.

فن الحديث: بين العالمية والشريعة الإسلامية:

أن من أهم ما يعكس شخصية الإنسان، ويوحى بمقدار رقيه وذكائه الاجتماعى طريقة حديثه وأسلوبه. وللحديث آداب عالمية تعكس مدى تحضر الإنسان ومن أهم قواعد المحادثة:

١- عدم الإسراف فى الحديث.

٢- ضرورة سماع الطرف الآخر.

٣- عدم مقاطعة المتحدث.

٤- أن يتصف المتحدث بصوت هادئ خفيف.

٥- تجنب العصبية والتوتر فى أثناء الحديث.

٦- أن تتجنب الألفاظ الجارحة التى تؤذى المشاعر.

٧- أن يتضمن الحديث بعض الكلمات الطيبة التى تؤثر بالإيجاب على المستمع.

٨- تنازل عن الكلام لمن هو أكبر منك.

٩- لا تلجأ إلى الكلام المصطنع.

١٠- لا تهمس فى أذن أحد وأنت فى مجموعة.

١١- لا تتبادل مع بعض الحاضرين نظرات فيها غمز بالآخرين.

١٢- لا تهزأ بأحد وامتنع عن المزاح.

١٣- مارس الثناء والشكر بكثير من الأدب واللباقة.

١٤- لا تقل (هو) أو (هى) عن شخص ثالث موجود بين المتحدثين.

١٥- لا تكن ثرثارًا وتعتقد أن الآخرين يستمتعون بكلامك كما تستمتع به أنت. لا تغرق موضوعًا تافهًا بالتفاصيل والأحداث التى لا تهم الآخرين.

١٦- احذر أن تكون من المداحين الكاذبين، بل أصدق القول.

١٧- تجنب الحديث عن نفسك وعن مآثرك وعن صحتك أو مرضك.

١٨- لا تحتكر الحديث، اسأل محدثك سؤالًا أو اثنين ثم أتح له الفرصة للإجابة.

١٩- تجنب المجادلات وإن لم تتفق مع شخص على رأى ما استمع إلى وجهة نظره.

٢٠- إذا كان أحدهم يروى قصة أو واقعة أنت تعرفها فلا تقاطعه لتسبقه فى الحديث وتعلن الخاتمة.

٢١- لا يجوز مثلًا أن تسرد النكات فى المواقف المحزنة أو أن تتحدث عن الكوارث والأمراض فى المناسبات السعيدة.

٢٢- عند الحديث حاذر طرح أسئلة ذات طابع شخصى.

٢٣- إذا استخدم أحدهم كلمات وتعابير غير صحيحة، فلا تصحح ما يقوله بطريقة مباشرة بل حاول أن تستخدم الكلمات نفسها بشكلها الصحيح فى خلال حديثك معه، وعنها يدرك هو الخطأ بنفسه دون أن تجرح شعوره.

٢٤- تكرار اسم المتحدث يترك أثرًا طيبًا ويساعد على الألفة والمودة.

٢٥- لا تحاول التعرف على أسرار غيرك، وإذا استودعك أحد سرًّا كن كتومًا ولا تفشه.

٢٦- تجنب الحديث فى موضوع تجهله وعليك أن تجمع كافة المعلومات والبيانات الحديثة إذا كنت ترغب بالاشتراك فى نقاش عن موضوع مهم لا تفهمه.

٢٧- ليس من اللائق مقاطعة المتحدث ولا أن تكذبه إذا شعرت أنه على خطأ، بل يمكنك القول (أعتقد أن الأمر كذا وكذا) أو(حسب رأيى أن الأمر كذا وكذا) ولا يجوز أن تقول: (إن ما تقوله غير صحيح) أو (هذا كذب وافتراء).

٢٨- الابتسامة الجميلة على الوجه فى أثناء الحديث على ألا يكون موضوعا محزنًا.

٢٩- النظر إلى عين المتحدث فى أثناء حديثه، مع إيماءات مشجعة

من الرأس بين الحين والآخر.

٣٠- تجنب قضم الأظافر بالأسنان وفرقعة الأصابع.

وفى مقارنة سريعة بين هذه الآداب وبين ما يؤمرنا به ديننا الكثير من التشابه فقد جاءت الشريعة بآداب كثيرة للكلام والمحادثة ومن ذلك:

١- خفض الصوت. قال تعالى فى وصية لقمان لابنه: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

٢- وكذلك ينبغى أن يكون المتكلم بعيدًا عن الثرثرة والتشدق وتكلف الفصاحة، فقد روى الترمذى عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» رواه الترمذى.

٣- الإنصات، خاصة إذا قرئ كلام الله تعالى، ثم إذا تكلم أهل العلم.

٤- ومن آداب الكلام: الابتداء بالسلام قبل الكلام. قال ﷺ: «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه» حديث حسن. بعض الناس يدخل المجلس فيقول: أين فلان؟ من رأى فلانًا؟ فلا ينبغى أن يجاب، فإن السلام قبل السؤال.

٥- ومن آداب الكلام فى الإسلام أن الإنسان إذا تكلم مع قوم ينبغى أن يختار ألفاظًا وعبارات تناسب عقولهم: ويشرح لهم أمورًا من الدين تستوعبها أفكارهم، أحيانًا يكون الشىء من الدين ويكون من الحكمة أن لا يذكره العالم أمام عامة الناس لأنهم يكذبون به ولا تتحمل عقولهم تصديقه، فمن الحكمة هنا أن لا يذكره لهم وإن كان حقًّا. وقد روى البخارى تعليقًا عن على ﷺ أنه قال: (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله).

٦- ومن آداب الكلام: أن لا يسرع المتكلم به، حتى يستوعبه السامع ولا يحتاج إلى الاستفهام، وقد روى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت: "كان فى كلامة ﷺ ترتيل أو ترسيل" والترتيل هو: التأنى والتمهل فى الحروف والكلمات. ومن آداب الكلام الإقبال على المتحدث بالوجه، فبعض الناس يتحدث معه الشخص فتجده يتلفت يمينًا وشمالًا أو ينظر إلى الجدار أو إلى ساعته وصاحبه يتحدث، وهذا فعل أهل الكبر والسَّفه.

٧- ومن آداب الكلام: البعد عن الكلام الفاحش البذىء أو الألفاظ والعبارات الصريحة فقد قال تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ فكنّى عن الجماع بالملامسة.

٨- ومن آداب الحديث: أن لا يتناجى اثنان دون الثالث فقد قال

ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث فإن ذلك يحزنه»؛ لأنه قد يظن أنكما تغتابانه أو أنه دون مستوى الكلام أوأنه غير ثقة عندكم.

٩- ومن آداب الحديث والكلام: أن تحفظ سر المتحدث إليك، إذا طلب ذلك صراحة أو صدرت منه إشارة على أنه يريد أن تحفظ سره، قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود والترمذى: «إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت، فهى أمانة» ومعنى الالتفات هنا: أن المتحدث يتأكد من أنه لا يوجد فى المجلس أحد يسمعه غيرُك.فهذا لا يحتاج إلى أن يقول لك لا تخبر أحدًا وإنما إشارته تكفى لتفهم أنه سر لا يفشى.

١٠- لا تباشر محدثك بقولك: "إنك مخطئ"، فقد كان النبى ﷺ إذا أراد أن ينبه على خطأ ولم يشأ التصريح قال: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» وقد أولى القرآن أدب الحوار أهمية بالغة، وحث على أن يكون دائمًا "حسنا" والحسن كلمة جامعة وملخصة لكل هذه القواعد وآداب الحديث.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ سورة النحل.

وقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ سورة طه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ سورة المؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ سورة المؤمنون.

وقد كان النبى ﷺ مثالًا للمحاور الرائع، تشهد بذلك أفعاله قبل أقواله، وقد جاء عنه أنه قال:

«يسِّروا ولا تُعَسِّروا وبشروا ولا تنفروا» متفق عليه.

«الكلمة الطيبة صدقة» متفق عليه.

«ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب» متفق عليه.

«الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها».. رواه الترمذى وابن ماجه.

«إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطيه على العنف، وما لا يعطى على سواه» رواه أبو داود وابن حبان.

إذا من خلال هذه المقارنة البسيطة نجد أن كثيرًا بل جميع آداب وإتيكيت الحديث، هى أمور من صلب ديننا، كان رسولنا الكريم يتحلى بها، ويأمرنا بها، فنستطيع أن نقول بأن هذه بضاعتنا ردت إلينا.

ويتضح لنا من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية آداب الإتيكيت فى الإسلام منذ ١٤ قرنًا.. وسورة النور هى سورة الآداب، بعث عمر بن الخطاب ﷺ إلى الأمصار أن علموا نساءكم سورة النور..

يقول الله عز وجل فى سورة النور:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾....

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ .... ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ .... ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ ﴾.

وفى سورة لقمان آداب نتعلم منها:

﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

وأيضا فى سورة الإسراء:

﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾ ﴾.

وفى سورة آل عمران:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

وفى اللباس من سورة الأعراف:

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

وفى سورة الفرقان:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾.

والآيات فى الآداب كثيرة ذكرنا بعضًا منها على سبيل المثال. والأحاديث النبوية أيضًا كثيرة جدًّا **فرسولنا الحبيب صلوات الله عليه معلم البشرية الخير علمنا ما ينفعنا فى دنيانا** وآخرتنا وحرص على تعليمنا الخير فى كل المجالات فداه أبى وأمى عليه أفضل الصلاة والسلام.ومن الأحاديث.

١- عن عمران بن حصين رضى الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتى إلا بخير» متفق عليه.

٢- عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» متفق عليه.

٣- عن عائشة رضى الله عنها قالت: (كان كلام رسول الله ﷺ فصلا يفهمه كل من يسمعه).رواه أبو داود.

٤- وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه دفع مع النبى ﷺ يوم عرفة فسمع النبى ﷺ وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل، فأشار بسوطه إليهم وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع» رواه البخارى وروى مسلم بعضه. البر: الطاعة، الإيضاع:الإسراع.

وفى ضوء ما تقدم نجد أنه يخطئ من يظن أن الإتيكيت هو أن تتفوه بكلمات إنجليزية أو فرنسية أو أن تأكل بيدك اليسرى أو ترقق من صوتك.. إلخ فمفهومه الحقيقى أشمل من ذلك بكثير، ورغم أن الدول الأوربية وتحديدًا فرنسا هى من اخترعت الإتيكيت ووضعت له أصولًا إلا أنه كمفهوم ودلالة سبق فيه الإسلام فرنسا بقرون فأمر أتباعه منذ البداية بانتهاج سلوك بالغ التهذيب باحترام الذات واحترام الآخرين وحسن التعامل معهم.

كيف استفاد الغرب من فن تطبيق السلوك؟

بلا أدنى شك أنه استفاد من الحضارات السابقة وأهمها: الإسلام

كما أكد ذلك علماء الغرب وفلاسفته حينما أشادوا بعظمة الدين الإسلامى كدين يجمع بين الدنيا والآخرة وبين مطالب المادة ومطالب الروح.

كل ذلك لاحظه الغرب واستفادوا منه فى حياتهم اليومية كما أكد ذلك "محمد إقبال" حين قال: رأيت إسلامًا بلا مسلمين فى الغرب لأنهم طبقوا صفات الإسلام لما رأى فيها من فوائد عظيمة فى حياتهم.

إذن الإتيكيت كما ذكرنا أدب إسلامى رفيع ومنهج لجميع شئون الحياة، فترى حكم الشرع يتطرق إلى جميع مجالات الحياة من الصناعة، والتجارة، والطب، والحياة الاجتماعية، ولم يقتصر على العبادات أو العقائد كما يظن البعض وإن معظم السلوكيات الراقية التى ينبهر بها الكثيرون منا بدءًا من آداب المائدة إلى فن معاملة المرأة واحترامها وحسن الأدب مع الآخرين وعدم إيذائهم بالقول أو بالفعل، ولدت أساسًا وترعرعت فى حضن الحضارة الإسلامية فى المشرق الإسلامى ثم انتقلت إلى قرطبة درة الحضارة الإسلامية فى الأندلس التى كانت تضم سبعين مكتبة عامة فى وقت كان تعليم القراءة والكتابة فى أوربا مقصورًا على الكهنة والرهبان باعتبارهما سرًّا مقدسًا، وبينما كانت تلك الحضارة العظيمة تضم شبكة متطورة للمياه العذبة والصرف الصحى والحمامات العامة الفخمة كانت شوارع أوربا تمتلئ بالمخلفات القذرة حتى إن "قصر فرساى" الشهير كان يخلو من

الحمامات.. وعن أخلاق الأوربيين وسلوكياتهم فى ذلك العصر نجد أن معظم الإتيكيتات والبروتوكولات الدولية مأخوذة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وهو بهذا المعنى منتج إسلامى أخذه عنا الغرب، وطوعه بأساليب حديثة، بما يتوافق مع عادات مجتمعاتهم وتحرر من بعض القيود الأخلاقية، والنظام المعيشى، (الإتيكيت) يختلف باختلاف الأعراف والعادات والثقافات والقيم الأخلاقية والدينية...ومن هنا يتضح دور الإسلام فى نشأة الآداب المعيشية الراقية.